

# سُورَةُ الْحِجْرٍ



النَّزْوُلُ: مَكْيَةً.

## الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير الوحي والرسالة.
- ٢ - تقرير البعث والجزاء.
- ٣ - إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى.
- ٤ - بيان عاقبة المكذبين الكافرين موعظة للبشرية.
- ٥ - تسليمة النبي ﷺ.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تَلَكَّءَيْتُ الْكِتَابِ وَقُرْئَانِ مُّبِينٍ ﴾١﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾٢﴾ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَلَيْهِمُ الْأَمْلَ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴾٣﴾وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَا كَنَابٌ مَعْلُومٌ ﴾٤﴾مَا تَسْقِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْذِرُونَ ﴾٥﴾وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾٦﴾لَوْ مَا تَأْتَنَا بِالْمَلَكِيَّةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ﴾٧﴾مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكِيَّةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾٨﴾إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾٩﴾

### التفسير:

- ١ - ﴿الرَّ﴾ تقدّم في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن. تلك الآيات العظيمة القدر آيات الكتاب الكامل ، القرآن العظيم ، ذو المبني الفصيحة ، والمعاني الواضحة .
- ٢ - رُبَّما يتمنّى الكفار لو كانوا مؤمنين بالله تعالى ، حين يَرَوْنَ أهواه العذاب يوم القيمة ، إذ يدخل المؤمنون الجنة ، ويخرج بعضهم من النار بالشفاعة .

عن صالح ابن أبي طريف ، قال : قلت لأبي سعيد الخدري : أسمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : ﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ فقال : نعم ، سمعته يقول : «يُخْرِجُ اللَّهُ أَنَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ نَقْمَتَهُ مِنْهُمْ» ، قال : لَمَّا أَدْخَلْتَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، قال المشركون : أَلَيْسْ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنْكُمْ أُولَيَاءُ ، فَمَا لَكُمْ مَعْنَى فِي النَّارِ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، أَذْنَ فِي الشَّفَاعَةِ ، فَيُتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّى يُخْرِجُو

بإذن الله، فلما أخرجوا قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم، فتذرنا الشفاعة، فنُخرج من النار، فذلك قول الله جل وعلا: ﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قال: فيسمون في الجنة الجنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عننا هذا الاسم، قال: فيأمرهم، فيغتسلون في نهر في الجنة، فيذهب ذلك منهم». (الإحسان/١٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ برقم ٧٤٣٢ قال محققه: حديث صحيح. وله شواهد عده منها: حديث أبي موسى الأشعري، أخرجه الحاكم ٢٤٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الألباني (ظلال الجنة برقم ٨٤٤). وينظر تخريره وذكر شواهد مفصلًا في حاشية الإحسان في الموضع المذكور).

**٣ - دعهم** - أيها الرسول - يستمتعوا بالأكل والشرب، وينغمسو بشهوات الدنيا، وينشغلوا بالطمع وطول الأمل عن الأجل اللازم لهم، وسوف تكون عاقبة أمرهم الخسارة في الدنيا والآخرة.

**٤ - ٥** - وما أهلتنا أهل بلدة من البلدان الظالمة التي كذبت رُسُلَ الله إلا ولها أَجَلٌ محدود لإهلاكها، ولا يتقدّم موعد هلاك أُمّة قبل مجيء أوانه، ولا يتأنّر عنهم.

**٦ - ٨** - وقال المشركون بكيد وسخرية: يا أيها الذي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ إِنَّكَ لِمَجْنُونٍ؛ بسبب ادعائك أنك مرسل، هلا جئتنا بالملائكة؛ لتشهد لك بالرسالة، إن كنت صادقاً في دعواك أنك رسول الله. ما ننزل ملائكتنا إلا تنزيلاً مواكباً للحق الثابت في الأقوال المنزلة، وفي الأفعال التي تصيب الكافرين، كعقاب الأُمّم المكذبة، فلو نَزَّلْتُ عليهم الملائكة كما اقتربوا لننزل بهم العذاب دون إمهالٍ ولا تأجيل.

**٩** - إننا - بما لنا من العظمة والقدرة - نَزَّلْنَا القرآن العظيم على النبي ﷺ، وإننا لحافظون له من كل تغيير وتبدل إلى يوم القيمة.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - ينظر: صورة مخطط الأمل، كما في الملحق.
- ٢ - في الآية (٩) إخبار مستقبلي بأنَّ الله يَعَهُد بحفظ القرآن منذ نزوله على النبي محمد ﷺ، من أن يُزاد فيه، أو يُنقص منه، أو يُضيّع منه شيء، إلى أن تقوم الساعة.

- ٣** - القرآن واضح كل الوضوح وبيّن كل البيان، فلا نقص فيه ولا خلل، ولا غموض ولا لبس.
- ٤** - إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحربهم للإسلام، فإن يوماً سيأتي يتنمون فيه أن لو كانوا مسلمين. (أيسر التفاسير: ٧٢/٣).
- ٥** - إن إثارة التلذذ والتنعم في الدنيا يؤودي إلى طول الأمل، وليس ذلك من أخلاق المؤمنين. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ١٩٣/٢).
- ٦** - هلاك الأمم ليس عشوائياً، وإنما هو مقدر بتاريخ معين، ومقرر في أجل محدد، لا تأخير فيه ولا تقديم.
- ٧** - كل من مات أو قتل فإنما مات بأجله، وإن من قال بجواز أن يموت قبل أجله مخطئ. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ١٩٣/٢).
- ٨** - بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان، ومن التغيير والتبديل، ومن الضياع.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْهِرُونَ ﴿١١﴾  
 كَذَلِكَ سَلَكُوهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ  
 فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَرْتُ أَبْصَرْنَا بِلْ تَحْنُ فَوْ  
 مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

### التفسير:

**١٣ - ١٠** - قسماً لقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - في طوائف الأمم الأوليين، وما جاءهم رسول إلا سخروا منه، كذلك نسلك الضلال والاستهزاء بأنبياء الله في قلوب المجرمين، كما سلكتناه وأدخلناه في قلوب أولئك المستهزئين الذين لا يصدقون بهذا القرآن، وقد مضت سنته الله بإهلاك المكذبين من الأمم السابقين.

**١٤ - ١٥** - بين الله تعالى شدة عناد كفار مكة وكبرتهم للحق، فهو سبحانه لو فتح لهم باباً من السماء فصاروا يصعدون فيه إلى السماء لما

صَدَّقُوا بِذَلِكَ، وَأَصْرَرُوا عَلَى التَّكْذِيبِ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّمَا سُدَّتْ أَبْصَارُنَا وَخُدِّعْتُ  
بِهَذَا الصَّعْدَوْدِ بِسَبَبِ السَّحْرِ الَّذِي يَقُولُ بِهِ مُحَمَّدٌ!

### الفوائد والاستنباطات:

**١ -** أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ السماء بناء محكم، تملئه المادة والطاقة، ولا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب تفتح فيه، ولو لا المعرفة الحقيقية لعروج الأجسام في السماء لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية، ولما استطاع ريادة الفضاء، حيث أصبح من الثابت أنَّ كُلَّ جُرم متحرك في السماء - مهما كانت كتلته - محكوم بكل من القوى الدافعة له وبالجاذبية مما يضطره إلى التحرك في خط مُنْحَنٍ يمثل محصلة كل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه. (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ص ١٧٠).

**٢ -** قال العالم الفلكي أ. عبد الوهاب الرواи: «المشهد الباهر غير المألوف الذي يصفه القرآن الكريم: ﴿سَكَرَتْ أَبْصَرَنَا﴾ هو تأكيد بالفعل لانطباعات رواد الفضاء أثناء مغامراتهم منذ إرسال أول إنسان إلى الفضاء غاغارين سنة ١٩٦١. فعندما يخرج الإنسان من جو الأرض إلى الفضاء الخارجي، لا يبدو له الفضاء كسماء الأرض بلونها الأزرق السماوي، بل بلون أسود». (معجزات القرآن العلمية في الكون، ص ١٥٩).

**٣ -** تكذيب الأنبياء والاستهزاء بهم عادة قديمة، وظاهرة شائعة في الأمم والشعوب، فكما يفعل المشركون بالنبي ﷺ، فكذلك فعلَ مَنْ قبلَهم بالرسل.

**٤ -** مطالبة المكذبين المعاندين بالأيات كرؤيه الملائكة لا معنى لها، إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا بها، فلذا لو فتح لهم باب من السماء، فظُلُوا فيه يرجعون، لَمَّا آمَنُوا.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَنٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتَبَعْهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوْسَى وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْرُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا الْكُمَّ فِيهَا مَعَدِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَزْقِنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِمُهُ وَمَا نَنْزِلُهُ إِلَّا يُقْدَرُ مَعْلُومٌ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْقَ حَافِلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَرِيزِنَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُنْحِي وَنَمِيتُ وَنَحْنُ الْوَرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

### التفسير:

**١٨ - ١٦** - يُقسِّمُ الله تعالى مؤكّداً بِيَانَ عظيم قدرته في صنعه، وكريم عطائه لخُلُقه: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للنجوم والكواكب، وزَيَّنا هذه السماء لكل مَنْ له القدرة على النظر، والتَّفَكُّر في عظمة الخالق سبحانه، وَحَفَظْنَا هذه السماء الدنيا من كُلِّ شيطان مستحق للرَّجْم، مطرود من رحمة الله، إِلَّا مَنْ اختلس شيئاً من أخبار السماء، فإنَّ الشَّهَب النارية المضيئة تَلْحِقُه، وتُحرقُه.

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلُ فِي الْعَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذَكَّرُ الْأَمْرُ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرُقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، فَتَسْمِعُهُ فَتُوَحِّيَ إِلَى الْكَهَانَ، فَيَكْذِبُونَ مِنْهَا مَئَةً كِذْبَةً مِنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ». (صحيح البخاري ٦ / ٣٥١ - ٣٥٠). كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم ٣٢١٠، صحيح مسلم - السلام - باب تحريم الكهانة ٤ / ١٧٥٠ برقم ٢٢٢٨).

**٢١ - ١٩** - والأرض بَسْطَنَاها، ووَسَّعْنَاها، وَجَعَلْنَا فيها جِبَالاً ثَابِتاً، وأنبَتَنَا فيها من كل أنواع النباتات من كل شيء مُقدَّر ومعلوم بدقة وإحكام، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا كُلَّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِلْحَيَاةِ مِنْ مَطَاعِمْ وَمَشَارِبْ وَغَيْرِهَا مَمْنُ لِيْسْ رِزْقُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَالْمَنَافِعِ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِمُ رِزْقِهِ، وَمَا نَنْزِلُهُ إِلَّا حَسْبُ الْحَاجَةِ وَالْمَصَالِحِ بِمَقْدَارِ مَعْلُومٍ.

**٢٢** - وأَرْسَلْنَا الرِّيحَ تُلْقِحُ السَّحَابَ، فَيُنْزَلُ مَطْرًا، وَتَلْقَحُ الشَّجَرَ فَتَحْمَلُ

ثمراً، وجعلنا المطر سقيا لكم ولزرعكم ومواشيكم، ولستم بقادرين على حفظه، بل نحن نحفظه لكم في العيون والآبار والأنهار.

**٢٤ - وإنّا نحن** - بما لنا من العظمة والقدرة - **نُحيي مَنْ كان ميتاً**، **ونميت مَنْ كان حيّاً** بعد انتهاء الأجل، ولا أحد يقدر على ذلك، ونحن نرث الأرض ومن عليها. وقسماً لقد علمنا مَنْ مات منكم، ومنْ هو حي، منذ خلق آدم، ونعلم مَنْ سيخلق من الناس إلى يوم القيمة.

**٢٥ - وإنَّ رَبَّكَ** - أيها الرسول - هو يجمعهم للحساب والثواب والعذاب. **إِنَّهُ حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ**، عليم بخلقه.

### الفوائد والاستنباطات:

١ - ينظر: صورة سقوط الشهاب، كما في الملحق.

٢ - هنالك توازنٌ دقيق بين ما يأخذه الإنسان وبين ما يطلقه النبات من الأكسجين. وتوازن آخر بين ما يطلقه الإنسان من غاز الكربون وبين ما يأخذه النبات من هذا الغاز. وهذه النسب قاسها العلماء حديثاً بكل دقة. فنسبة الأكسجين في الغلاف الجوي هي ٢١٪ تقريباً، ولو زادت هذه النسبة لاحترقت الأرض مع أول شرارة، ولو نقصت هذه النسبة قليلاً لماتت الكائنات اختناقًا، أما نسبة غاز الكربون في الغلاف الجوي فهي أقل من ١٪، ولو زادت هذه النسبة لتسمم البشر وماتوا جميعاً، ولو نقصت لماتت النباتات وتوقفت الحياة.

(<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-40-43-22-09-09-2010-13/243>)

٣ - إنَّ نموَ السحب ونزول المطر يتطلب أن تلتحم الرياح هذه السحب بأكdas من جسيمات مجهرية تسمى (نوّيات التكافف)، ومن أهم خواص هذه النويات أنها تمتص الماء أو تذوب فيه، وتحمل الرياح كذلك بخار الماء وتلتحم به السحاب؛ لكي يمطر. (**من روائع الإعجاز في القرآن: الدكتور جمال الدين الفتدي**، ص ٨٤). وينظر: صورة الرياح الواقحة، كما في الملحق.

٤ - رُزُقُ جميع الخلق على الله تعالى، وَظَنُّ بعض الجهال في كثير من الأحيان أنَّهم هم الذين يَرْزَقُونَ العيال والخدم خطأً كبيراً، لأنَّ الله هو الرزاق

يرزق المخدم والخادم والمملوك والملك، وقد خلق تعالى الأطعمة والأشربة وأعطى القوة الغاذية والهاضمة وإلا لم يحصل لأحد رزق.

**٥ -** الله تعالى عالم بجميع المخلوقات المتقدمة والمتاخرة إلى يوم القيمة، وإنَّه تعالى سيحشر الناس جميعاً للحساب والجزاء.

**٦ -** في توسط ضمير «هو» (الآية: ٢٥) دلالة على أنَّ الله هو القادر والمتولي لحشرهم لا غيره، وتصدير الجملة بـ«إنَّ» لتحقيق الوعد والتنبيه على أنَّ ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم. (السراج المنير للخطيب الشريبي: ١٩٨/٢).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِنْ تَارٍ السَّمُومِ  
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلَصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٨﴾ فَسَاجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا  
إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ يَكِيلِيلُسْ مَا لَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَمْ  
أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا إِنَّكَ رَجِيمٌ  
وَإِنَّ عَلَيْكَ اللُّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٣﴾

### التفسير:

**٢٦ -** قسماً لقد خلقنا آدم ﷺ من طين يابس متغير يسمع صوته إذا نقر عليه أو حرك، وخلقنا إبليس أبا الجن من قبل آدم من نار شديدة الحرارة، تنفذ في المسام، فتقتل من شدة حرها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ  
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجِ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وُصِّفَ لَكُمْ». (صحيح مسلم)

٤/٢٩٩٤ - كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم ٢٩٩٦.

**٢٨ -** يذكر الله تعالى بقصة آدم وإبليس، حين خاطب الملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس متغير، فإذا سويته، وأتممت خلقه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له.

٣١ - فأطاعت الملائكة، وسجدوا كُلُّهم أجمعون، لكن إبليس الذي كان مع الملائكة امتنع من السجود.

٣٢ - قال الله تعالى لإبليس مُنْكِرًا عليه: ما المانع لك من السجود؟ فأجاب متكبّرًا: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر مخلوق من طين يابس متغير.

٣٤ - خاطب الله إبليس إهانة له: اخْرُجْ من الجَنَّةِ، فَإِنَّكَ مطرودٌ من رحمتي، وإنَّ عَلَيْكَ لِعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ.

### الفوائد والاستنباطات:

١ - أخرج الطبراني بسنده صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق آدم من صلصال من حماً ومن طين لازب، وأما اللازم: فالجيد، وأما الحما: فالحمة، وأما الصلصال: فالتراب المرقق، وإنما سُمِّيَ إنساناً لأنَّه عهد إليه فنسبي.

٢ - إضافة الروح إلى الله تعالى الله تشريف لها كما يقال: بيت الله. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ٢٠١/٢).

٣ - بيان فضل السجود، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس.

٤ - ذمُّ الْكِبْرِ، وأنَّه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

٥ - الحرف «إلى» يفيد في أصل معناه انتهاء الغاية، ولكنه لا يفيد في الآية (٣٥) أنَّ اللعنة تزول يوم القيمة؛ لأنَّ المراد التأبيد. (ينظر: السراج المنير ٢٠٢/٢).

﴿قَالَ رَبِّي فَأَنْظَرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعَثُونَ ﴾٣٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾  
 قَالَ رَبِّي مَا أَغْوَيْتَنِي لَأَغْرِيَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ أَمْلَحَصِينَ  
 ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَيْنَهُمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْعَوَابِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجَمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزُءٌ مَقْسُومٌ  
 إِلَّا مُتَّقِينَ فِي جَهَنَّمِ وَعَيْنُونِ ﴿٤٤﴾ أَدْخُلُوهَا سَلِيمًا إِمْنِينَ ﴿٤٥﴾ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ  
 إِخْرَاجًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُنَقَّبِلَيْنَ ﴿٤٦﴾ لَا يَمْسِهِمْ فِيهَا نَصْبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُحْرِجٍ ﴿٤٧﴾ نِيَّةً عِبَادِي  
 أَنِّي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

### التفسير:

**٣٦ - ٣٨.** ثم طلب إبليس إلى ربّه أن يمهله بالبقاء إلى يوم البعث، فأنهله الله تعالى إلى ذلك الوقت المحدد يوم القيمة.

**٣٩ - ٤٠.** ثم أعلن إبليس الانتقام من آدم وذراته: ربّ بسبب ما أضللتني من أجل آدم، قسماً لأزيدن لبني آدم المعاصي في الدنيا، ولا أضلنهم عن طريق الهدى، إلا عبادك المؤمنين الذين أخلصوا لك العبادة.

**٤١ - ٤٢.** فأجابه الله: هذا طريق على إقامته، وسنّة لا تختلف: إن عبادي المؤمنين لا طاقة لك على إضلالهم، إلا من اتبعك على الكفر والمعاصي من الضالين.

**٤٣ - ٤٤.** وإن نار جهنم لموعد هؤلاء الضالين جميعاً، ولجهنم سبعة أبواب، لكل فريق من أتباع إبليس الضالين باب معلوم يدخلون منه قدر جرائمهم.

**٤٥ - ٤٨.** إن المتقين الذين أطاعوا أوامر الله، واجتنبوا نواهيه في بساتين أرضها خصبة، وعيون مياها عذبة يقال لهم: ادخلوها من أبوابها الشمانية سالمين من كل شر، آمنين من كل خوف، ونزعنا ما في صدورهم من حقد وعداوة ينعمون بالأخوة والمحبة، يجلسون على سرير مستأنسين، يقابل بعضهم بعضاً، لا يصيبهم فيها تعب، وهم فيها مقيمون دائماً. عن أبي سعيد

الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: **يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أَذْنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لأحدِمْ أهْدِي بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا».** ( صحيح البخاري ٤٠٣ / ٦٥٣٥ - كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيمة).

**٤٩ - ٥٠ - أَخْبِرْ عَبْدِي إِخْبَارًا أَكِيدًا:** أَنِّي وحدي الغفور لعبادِي التائبين، الرحيم بهم، وأنَّ عذابي وحده هو العذاب الموجع.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - من الجائز أن يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريدها الله تعالى.
- ٢ - السلاح الذي يغوي به إبليسُ بني آدم هو التزيين للأشياء، حتى ولو كانت دميةً قبيحة، يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى يأتيها الآدمي.
- ٣ - في قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ وعيد وتهديد، كقولك لِمَنْ تهدده: طريقك علىَّ، ومصيرك إلىَّ، بمعنى: أجازي كلاً بعمله.
- ٤ - في الآية (٤٢) إشارة إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنَّه لا يقدر عليهم. (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ٤١٨/١).
- ٥ - المراد بالإخوة هنا الإخوة في المودة والمخالطة، كما قال تعالى في الزخرف الآية (٦٧) ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ وليس المراد الإخوة في النسب.
- ٦ - إضافة العباد إلى الله صلوات الله عليه وآله وسلامه تشريف لهم مثل قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وفيه تشريف لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. (السراج المنير للخطيب الشريبي: ٢٠٥/٢).
- ٧ - قوله تعالى: ﴿أَئُّئَ عَبَادِي﴾ وهي آية ترجية وتخويف، ويدخل فيه المؤمن المطيع والمؤمن العاصي، وكل ذلك يدلُّ على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى. (التسهيل لعلوم التنزيل: ٤١٨/١).

وَنَبَّهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذَا دَخَلُوا عَيْنَهُ فَقَالُوا سَلَّمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا  
تُوَجِّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعِلْمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبْشِرْتُمُونِي عَلَى أَنَّ مَسَنِي الْكَبَرُ فِيمَا تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾  
قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنَاطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا  
أَصَّالُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطَبُكُمْ أَيْمَانُ الْمُرْسَلِونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ شَجَرِينَ  
إِلَّا إِلَّا لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أُمَّرَاتُهُ، قَدَرْنَا إِنَّهَا لِمِنَ الْغَدَرِينَ ﴿٥٩﴾

### التفسير:

**٥١** - وأخْبِرُهُمْ إِخْبَارًا عَظِيمًا عن قصَّةِ ضِيوفِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

**٥٢** - حين دخلوا على إِبْرَاهِيمَ ﷺ وسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلامَ،  
وَبَعْدَ أَنْ قَدَّمَ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَرَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ خَائِفُونَ.

**٥٣** - فَأَجَابَتِ الْمَلَائِكَةُ: لَا تَخَفْ إِنَّا جَئْنَا نُبَشِّرُكَ بِولِدٍ غَزِيرِ الْعِلْمِ اسْمُهُ  
إِسْحَاقُ.

**٥٤ - ٥٥** - قَالَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ مُتَعَجِّبًا طَالِبًا التَّأْكِيدَ مِنَ الْبَشَرِيِّ: أَبْشِرْتُمُونِي  
بِالْوَلَدِ وَأَنَا كَبِيرُ السِّنِّ، وَكَذَلِكَ زَوْجِي، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونِي؟ فَأَكَدَّتِ  
الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ: بَشَّرْنَاكَ بِأَمْرِ ثَابِتٍ مَقْطُوعٍ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَكُنْ  
مِنَ الْيَائِسِينَ أَنْ يَوْلِدَ لَكَ وَلَدٌ.

**٥٦ - ٥٧** - فَاطِمَاءُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ قَالَ: لَا يَئِسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا  
الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ثُمَّ سَأَلَ: فَمَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَئْتُمْ مِنْ  
أَجْلِهِ؟

**٦٠ - ٥٨** - فَأَجَابَوْهُ: إِنَّا أَرْسَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى لِإِهْلَاكِ قَوْمٍ لَوْطَ الْمُرْتَكِبِينَ  
الْجَرِيمَةِ الْبَشِّعَةِ، إِلَّا لَوْطًا وَأَهْلَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، سَنَقْذِهِمْ مِنَ الدَّمَارِ أَجْمَعِينَ،  
إِلَّا امْرَأَهُ الْكَافِرَةِ حَكَمْنَا بِإِهْلَاكِهَا مَعَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - مَشْرُوعِيَّةُ الضِيَافَةِ، وَأَنَّهَا مِنْ صَفَاتِ الْبَرِّ وَالْكَرَمِ.
- ٢ - تَعْلِيمُ أَدْبِ الضِيَافَةِ بِالْتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ حِينَ الْقُدُومِ عَلَى الْآخِرِينَ.

٣ - أراد إبراهيم ﷺ من استفهامه في قوله تعالى: ﴿أَبْشِرْتُمُونِي﴾ التعجب من مخالفة العادة، وحصول الولد حال الشيخوخة التامة من الآبوين معاً. (السراج المنير للخطيب الشربini: ٢٠٦/٢، الباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٤٦٩/١١).

٤ - حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى.

٥ - التنديد بالإجرام، وبيان عقوبة المجرمين.

٦ - لا قيمة للنسب ولا للمصاہرة، ولا عبرة بالقرابة، فامرأة لو ط هلكت مع الهاكين ، ولم يشفع لها أنها زوجة نبي من الأنبياء.

﴿فَلَمَّا جَاءَ إَلَّا لُوطٌ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ ۖ حَتَّىَنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِي بِأَهْلِكَ بِقُطْلٍ مِّنَ الْيَلَىٰ وَأَتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْثِفْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَارَ هَتَّوْلَاءَ مَقْطُوعٌ مُّصِحَّينَ ﴿٦٦﴾

### التفسير:

٦١ - ٦٢ - فلما وصلت الملائكة المرسلون بيت لوط ﷺ ، قال لوط مُنكراً مُتعجّباً: إنكم قوم لا أعرفكم ، فماذا تريدون؟

٦٣ - ٦٤ - قالوا: بل نحن رسول الله ، جئنا بالعقاب الذي كانوا يشكّون فيه ولا يصدّقون ، وأتيناك بالحق الثابت الفاصل بينك وبينهم ، وإننا لصادقون حقاً فيما نقول .

٦٥ - فاخرجم مع أهلك وأتباعك عندما يشتُّد ظلام الليل ، وكن وراءهم؛ رعاية لهم ، ولا يلتفت منكم أحد إلى الخلف حفظاً على الأ بصار والقلوب من العذاب وأحواله ، وسيروا سيراً حثيثاً حيث أمركم الله تعالى .

٦٦ - وأوحينا إلى لوط ﷺ ذلك الأمر الهائل: أن المجرمين من قومك سيُدمرون جميعاً عن آخرهم عند طلوع ضوء الصبح .

- ١ - مشروعية المشي بالليل (السفر) لقطع المسافات البعيدة.
- ٢ - مشروعية مشي المسؤول وكبير القوم وراء الجيش والقافلة؛ لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلّفُ منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.
- ٣ - كراهة الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ﴿وَلَا يَلْفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: بقلبه.
- ٤ - النهي عن مجرد الالتفات يفيد أنّ ثمة شعاعاً أو عذاباً يؤذى النظر عند الالتفات.
- ٥ - الرعاية والإرشادات الربانية لأهل لوط.
- ٦ - تأييد الله تعالى نبيه لوط ﷺ بالملائكة.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَنْفَضُحُونَ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزِنُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَهَكُ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمِرُكُمْ إِنَّهُمْ لِفِي سَكُونِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنِ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

## التفسير:

- ٦٧ - وجاء أرباب الفاحشة إلى لوط ، حينما علموا بوصول الضيوف، وهم فرحون.
- ٦٨ - قال لوط ﷺ لهم: إنّ هؤلاء ضيوفي ، فلا تفضحوني بارتكابكم الفاحشة بهم، واتّقوا الله فيما ، ولا تُلْحِظُوا بي الذلّ والهوان.
- ٦٩ - قال العصاة بوقاحة: أولم ننهك يا لوط أن تستضيف أحداً من العالمين ، ثمَّ تمنعنا أن نفعل ما نريد؟
- ٧١ - قال لوط: هؤلاء بنات قومي تَرَوْ جُوهَنَّ إن كنتم تريدون أن تعصموا أنفسكم.

٧٣ - يُقسم الله تعالى بحياة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ تكريماً له - ولا يجوز ذلك لغير الله تعالى - وتأكيداً لانتقام من قومه بأنهم في غواياتهم يتخبّطون لم يأبهوا بنصيحة، فأخذتهم الصيحة المزلزلة وقت شروق الشمس.

٧٤ - فجعلنا عاليَّ بلدتهم سافلها ، فقلبناها ، وأمطينا عليها حجارة من طين متَّصلب متابع.

٧٥ - إنَّ في ذلك العقابُ المخيفِ لِمَواعِظِ عظيمةٍ للمُتَّرَّسِينَ ، وإنَّ بلدانَهم على طريق ثابتٍ يراها المسافرون ما بين الشام والحجاز. إنَّ في ذلك الأمر العظيم من حالها لعامةً عظيمةً في الدلالة على توحيد الله للمصدّقين به.

### الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب إكرام الضيف.

٢ - شرف النبي ﷺ، إذ أقسام الله تعالى ب حياته في قوله: ﴿لَعَمْرَاك﴾، قال ابن العربي: «قال المفسرون بأجمعهم: أقسام الله تعالى هنا بحياة محمدٍ ﷺ تشريفاً له». (أحكام القرآن لابن العربي: ١٠٥/٣).

٣ - عذَّب الله تعالى قوم لوط ﷺ بثلاثة أنواع من العذاب أحدها: الصيحة الهائلة المنكرة، وثانيها: أنه جعل عاليها سافلها، وثالثها: أنه أمر عليهم حجارة من سجيل. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ٢٠٩/٢).

٤ - ينظر: صورة آثار قوم لوط ﷺ في الملحق.

٥ - بيان نعمة الله تعالى من الظالمين؛ للاعتبار والاتزان.

﴿وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ بِأَئِمَّةٍ أَلَّا يَعْلَمُهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَأْمَمُ مُؤْمِنِينَ ﴾٧٨﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَأْمَمُ مُؤْمِنِينَ ﴾٧٩﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَدُهُمْ بِالْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾٨٠﴿وَإِنَّهُمْ مَا يَتَنَاهُ فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾٨١﴿وَكَانُوا يَنْجِحُونَ مِنَ الْجَهَالِ ﴾٨٢﴿بِيُوتًا ظَاهِرَاتٍ ﴾٨٣﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴾٨٤﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾٨٥﴾

### التفسير:

٧٩ - وقد كان أهل المدينة المختلفة الشجر من قوم شعيب ﷺ.

ظالمين لأنفسهم؛ بسبب تكذيبهم لله ولرسولهم شعيب، فدمّرناهم، وإنَّ ديار قومي لوط وشعيب لَفِي طريق معروف يَمُرُّ بها الناس المسافرون ما بين الحجاز والشام.

**٨٤ - ٨٠** - وقُسْمًا لَقَدْ كَذَبَ أَهْلُ الْحَجْرِ - تقع شمال المدينة - من قوم ثمود نَبِيُّهُمْ صَالِحًا ﷺ، وَاتَّبَاعُهُمْ آيَاتٌ عَظِيمَةٌ، مِنْهَا النَّاقَةُ الْعَجِيبَةُ، فَلَمْ يَقْتُنُوا بِهَا فَكَذَبُوا بِهَا، وَكَانُوا يَنْحُتُونَ الْجَبَالَ الشَّامِخَةَ؛ لِيَتَّخِذُوا مِنْهَا بَيْوتًا، وَهُمْ مُطْمَئِنُونَ عَلَى سَلَامَةِ أَنفُسِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، فَأَخْذَتْهُمُ الصِّحَّةُ الْمَزَلُولُ الْمَدْمُرَةُ، فَمَا نَفَعَهُمْ مَا كَانُوا يَمْلَكُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَصُونَ.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - المراد بالأيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا﴾ آيات الكتاب المنزل على صالح ﷺ، أو المعجزات كالناقة، وكان فيها آيات كثيرة كخروجها من الصخرة، وعظيم حَلْقِها، وقرب ولادتها، وغزاره لبنتها. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ٢١٠ / ٢).

**٢** - إضافة الآيات إلى قوم صالح في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَنزَلْنَا﴾ وإن كانت لنَبِيِّهِمْ صالح ﷺ؛ لأنَّه مرسل من ربهم إليهم بهذه الآيات. (السراج المنير للخطيب الشربيني: ٢١٠ / ٢).

**٣** - إذا أراد الله هلاك أُمَّةٍ فإن قوتها المادية لا تغنى عنها شيئاً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيهِ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ آجِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ أَنْذَنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُشَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ لَا تَمْدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا خِفْضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقُلْ إِنَّمَا النَّذِيرُ الْمِيتُ ﴿٨٨﴾﴾

### التفسير:

**٨٥ - ٨٦** - وما خلقنا السموات السبع والأرضين السبع، وما بينهما من الخلائق إلا بالعدل، فمن نحا نحو الظلم فإن العقوبة جزاؤه عاجلاً أو آجلاً.

فاصبر - يا محمد - على أذى المشركين، واعف عنهم عفواً حسناً دون عتاب وعقاب، إن ربك هو خالق كل شيء، أجيالاً متتالية ومخلوقات متتجدة، العليم بهم وبما يصلح شؤونهم.

**٨٧** - قسماً لقد أعطيناك - أيها الرسول - سبع آيات كريمة تتكرر في كل صلاة، وهي سورة الفاتحة، وأنزلنا عليك القرآن العظيم بأحكامه الرشيدة، وفضاحته المبينة.

**٨٨ - ٨٩** - لا تنظرنَّ نُظْرَةً رغبة وتمنَّ إلى الكُفَّارِ الَّذِينَ مَتَّعْنَا هُمْ بِشَتَّى الأَصْنافِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَلَا تَحْزُنْ عَلَى كُفَّارِهِمْ، وَوَاظْبُّ عَلَى تَوَاضُعِك لِلْمُصَدِّقِينَ بِرِسَالَتِكَ، وَقُلْ لِلنَّاسِ: إِنِّي أَنَا الْمَنْذُرُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، الْمُوَضِّحُ لِطَرِيقِ الْهُدَىِ.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - عن أبي سعيد بن المعلى رض قال: «أَمْرَّ بِي النَّبِيُّ صل وَأَنَا أَصْلِي فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ فَقَلَّتْ كُنْتُ أَصْلِي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾؟ [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمُ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟» فَذَهَبَ النَّبِيُّ صل لِيُخْرُجَ، فَذَكَرَهُ فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيَتْهُ». (صحيح البخاري ٤٧٠٣). - كتاب التفسير - سورة الحجر، باب (الآية) برقم ٢٣٢/٨.

**٢** - ثبت علمياً أن تركيب كل نطاق من نُطُقِ الغلاف الغازي للأرض، وتناقص تركيز كل من المادة والطاقة بالارتفاع فيه يتداخل في تركيب الجزء الأسفل من السماء الدنيا مكوناً خليطاً من مادتهما، وهذه المادة الفاصلة بين السماء والأرض تكونت باختلاط ما تصاعد من فوهات البراكين مع ما كان حول الأرض من مادة ما بين الكواكب، فتكون الخليط المعروف باسم الغلاف الغازي للأرض وهو خليط مكون من مادة الأرض، ومادة السماء الدنيا، فحق له أن يفصل بين كل منهما بوصف القرآن الكريم له بصفة البينية ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا﴾.

**٣** - المقصود من قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أن يُظهر الخلق الحسن، والعفو، والصفح.

**٤** - أطلق اسم «السبع المثاني» على الفاتحة لأنها سبع آيات، وهذا ما عليه أكثر المفسرين.

**٥** - تسمية الفاتحة بالمثاني لعدة وجوه، منها **الأول**: أنها تثنى في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة. **الثاني**: أنها تثنى بما بعدها فيما يقرأ معها. **الثالث**: أنها قسمت قسمين اثنين لما روي أنه قال: «يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفي» والحديث مشهور، **الرابع**: أنها قسمان اثنان ثناء ودعاء، وأيضاً النصف الأول منها حق الربوبية وهو الثناء، والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء. **الخامس**: أن كلماتها مثناة مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

(السراج المنير للخطيب الشربيني: ٢١١/٢).

**٦** - على الدعاة إلى الله ألا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مالٍ ومتاع، فإنما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما آتى أولئك من المال والمتاع.

**٧** - استحباب لين الجانب للمؤمنين، والطف عليهم، والرحمة لهم.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِصْيَنَ ﴿٩١﴾ فَوَرَيْكَ لَنَشَأْلَهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ  
الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَا خَرَّ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ نَلَمْ أَنَّكَ يَضْيقُ صَدْرُكَ بِمَا  
يَقُولُونَ ﴿٩٦﴾ فَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٧﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيرُتُ ﴿٩٨﴾﴾

### التفسير:

**٩٠** - وأنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - كما أنزلنا على أهل الكتاب التوراة والإنجيل، الذين آمنوا ببعض كتابهم، وكفروا ببعضه، فانقسموا قسمين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، اليهود والنصارى . (صحيح البخاري - التفسير - سورة الحجر، الآية، برقم ٤٧٠٦) .

**٩١ - هؤلاء هم الذين أجرموا بحق القرآن الكريم؛ إذ جعلوه أجزاءً متفرقة ، فآمنوا ببعضها ، وكفروا ببعض حسب أهوائهم ، ومصالحهم.**

**٩٢ - ٩٣ - فُّقْسِمَ بِرَبِّكَ - أَيْهَا النَّبِيُّ - لَنْحَاسِبَنَّ الْخَلَائِقَ جَمِيعاً حَقَّاً عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.**

**٩٤ - ٩٥ - فَأَعْلَمْ دُعَوْتُكَ، وَاجْهَرْ بِهَا بِقَوْةٍ لِتَبْلُغَ أَمْرَ رَبِّكَ سُبْحَانَهُ، وَلَا تَأْبَهْ بِمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، إِنَّا كَفِيلُنَاكَ شَرَّ أَعْدَائِكَ السَّاقِرِينَ مِنْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا شُرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ، فَسُوفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ضَلَالِهِمْ.**

**٩٧ - ٩٩ - وَقَسْمًا لَقَدْ نَعْلَمَ أَنَّ صَدْرَكَ يَضِيقُ - أَيْهَا الرَّسُولُ - بِالْحَزْنِ؛ بِسَبَبِ جَرَائِمِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْإِشَاعَاتِ وَالتَّكْذِيبِ لِدُعَوْتِكَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ خَالِقِكَ وَنَاصِرِكَ، وَأَكْثِرُ مِنَ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشَّكْرِ لَهُ، وَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّيِّنَ لِلَّهِ، وَوَاطِبْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى دَائِمًا حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ.**

### الفوائد والاستنباطات:

**١ - حرمة الاختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب.**

**٢ - مشروعية الجهر بالحق وبيانه ، ولا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد.**

**٣ - في الآية (٩٥) إخبار مستقبلٍ عن دفاع الله تعالى لرسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، ودَحْرِه للمسתهزئين به .**

**٤ - فضل التسبيح بجملة: سبحان الله وبحمده.**

**٥ - مشروعية صلاة الحاجة: فَمَنْ حَرَبَهُ أَمْرٌ أَوْ ضَاقَ بِهِ، فَلْيُصَلِّ صَلَاةً يُفَرِّجُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مَا بِهِ، أَوْ يَقْضِي حاجَتَهُ إِنْ شَاءَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.**

